

مدخل الى اللاهوت الآبائي

المؤلف

البروفيسور قسطنطين سكوتيريس

ملاحظات :

١ - استعمل الكاتب مصطلح (الآباء اليونان) ، قاصداً آباء الكنيسة الذين كتبوا باللغة اليونانية .

٢ - ورد في النص مصطلح (خريستولوجي) والخريستولوجيا هي علم المسيح، أي القسم الخاص بالكلام عن شخص يسوع المسيح وطبيعته في اللاهوت المسيحي .

المعرّب

الاب سابا اسبر

« باسم الآب والابن والروح القدس »

ان اللاهوت الارثوذكسي ، الذي لا يمكن أن يفصل عن الحياة الارثوذكسية ، هو بتمامه ، يُراجَع بالصيغة الليتورجية التالية : « باسم الآب والابن والروح القدس » . هناك ايمان متماسك بعمق في اللاهوت الارثوذكسي بأن « كل عطية صالحة هي من لدنك يا أب الأنوار » ، الذي له « نرسل المجد والشكر والتسبيح » ، « للآب والابن والروح القدس الآن وكل أوان والى دهر الدهرين » .

من هذا المنظار ، لكي نتكلم باللاهوت ، من وجهة نظر ارثوذكسية ، ولكي نتفحص التقليد المجمعي بصورة أخص كما تفهمه المسيحية الشرقية ، من الضروري أن نبدأ بنقطة انطلاق ثالوثية . فاللاهوت الارثوذكسي ليس بشيء سوى مناداة وتمجيد دائمين للثالوث المتساوي في الجوهر والغير المنقسم . كذلك ، الحياة الارثوذكسية هي تقدمية حيّة لكل الاشياء للثالوث المعطي الحياة ، إنها ليتورجيا مستمرة (بالمعنى الأصلي للكلمة اليونانية) ، الذي فيه « نحن نقدّم » لله الواحد في الثالوث « الذي له مسا له في كل وجه ومن أجل كل شيء » عندما نقول أن اللاهوت والحياة الارثوذكسيتين مرتبطتان بالاله الثالوثي فاننا لا نقصد فقط حركة من الانسان باتجاه الله : يجب أن نحمل في ذهننا دائماً أن الله ، الآب والابن والروح القدس هو المنبع الوحيد لهذه الحركة وأساسها . خاصة اللاهوت الثالوثية هذه أمر مهم جداً ، وتكشف خصوصاً الروح الارثوذكسية والاخلاق الارثوذكسية . أي شيء بدون هذه الخاصة لا يمكن أن يكون انجيلياً أو كنسياً أو مسيحياً . كل شيء له نقطة انطلاقه في الثالوث القدوس . كل شيء مؤسس على الثالوث ويوجد في الثالوث .

بحسب المفهوم الارثوذكسي ، تفهيم الكنيسة كواقع ثالوثي . لها خاصة ثالوثية . الكنيسة ثالوثية في جوهرها كما وفي فعلها . كل ما لها ينحدر من الآب ، عبر الابن والروح القدس . يصير المؤمن عضواً في الكنيسة ، ويدخل في حقيقة الكنيسة بفعل ثالوثي عندما يعتمد باسم الآب والابن والروح القدس . هذه المعمودية هي تغطيس وجود الانسان الكامل في سر الالهة الثالوثية . لهذا فان المؤمن في المعمودية « يلبس الرب يسوع المسيح » (غلا ٣/٢٧) بواسطة الروح القدس ومشية الآب الصالحة . هكذا ، فان المؤمن ، اذ يدخل في الكنيسة ، يدخل في « مسكن الله بواسطة الروح » (أف ٢ : ٢٢) . ان القديس سيمان اللاهوتي الحديث أوضح هذه النقطة ، عندما تكلم عن الثالوث القديس ، الالهة الوحيدة ، « بلا تشوش ولا انقسام » ، وقال ان الثالوث الذي فيه قد اعتمدنا هو « الذي بواسطته نحيا ونعرف ونفهم ، وتحتة نكون وسوف نكون الى الابد ، لأننا قد تلقينا الكينونة والكينونة الصالحة من هذا الثالوث القدوس » .

هذا يعني بوضوح ان المؤمن يصير منذ مطلع حياته المسيحية ، مقاماً للثالوث القدوس ، ويصير الثالوث مكان اقامته . أعرد أيضا الى القديس سيمان اللاهوتي الحديث الذي يقول ان « المسيحي بصيرورته مسكناً للثالوث ، يقيم هو نفسه في الثالوث » . لهذا فان المؤمن يدخل في الكنيسة « المملوءة بالثالوث القدوس » ، على حد تعبير اوريجنس ، لكي يكون الحامل لله بحرية واستمرار ، ولكي يكون بالحقيقة شخصاً جامعاً (كاثوليكياً) يحتضن كل الاشياء .

من الضروري أن نعطي شرحاً منهجياً أوفر ، لكي نجعل الموضوع أوضح الله الأحد هو « الكائن » فقط بالمعنى العام . الله فقط ، الآب والابن والروح القدس ، الطبيعة الغير المخلوقة ، هو الوجود المطلق ،

« هو الذي يكون حقاً » . ان وجود وحياء المرء ، الآن ، تؤسس على ،
ومتصلة دائماً بـ ، وجود وحياء الله . في تقليد الآباء اليونان (الذين كتبوا
باليونانية) الطويل ، مُشدّد دائماً على تبعية الوجود للمخلوقات العاقلة
للخالق . هذه التبعية مُفهم في مصطلح الاشتراك في الكينونة .

بكلمات أخرى ، مُخلِق الانسان لكي يكون شريكاً لله . خلق على
صورة الله الثالث لكي يشترك في حياته الالهية . ينسّر القديس كيرلس
الاسكندري (تك ١/ ٢٦) ، « وقال الله : لنصنع الانسان على صورتنا ومانا » ،
فيقول : ان ضمير (نا) لا يشير الى شخص واحد فقط لان ملء الالهة
والطبيعة التي لا توصف توجد في الاقانيم الثلاثة .

للتعليم الارثوذكسي المتعلق بالانسان دائماً أساس لاهوتي قوي .
يفترض الفهم الارثوذكسي للانسان وحياته حقيقة أن الله الثالث هو
الحياة الحقّة والمطلقة التي يؤسس عليها وجود الانسان . بهذا المعنى لا
نستطيع التكلم عن وجود الانسان وحياته وقدّره ما لم نتكلم أيضاً عن
الالهة الثالثية التي هي حياة بذاتها . اذا ، يرفض اللاهوت الارثوذكسي
الكلام عن الانسان بطريقة أحادية . حسب الفهم الآبائي ، لا نظام للفكر
بما يتعلق بالانسان يمكنه أن يوجد مستقلاً ، ولا علم أنثروبولوجي بالمعنى
الضيق . كل تعليم الآباء اليونان المتعلق بالانسان هو لاهوت بدون شك ،
أو اذا أردنا ، أنثروبولوجيا لاهوتية .

تعني حقيقة خلق الانسان على صورة الله الثالث ، أن الانسان ،
ككائن شخصي ، يواجهه مع اله شخصي . هذا يعني أيضاً ان الانسان قد
منح ، حالاً ومنذ أول البدء ، كمالات الله ، وانه قد تلقى الدعوة ، ليمدّد
عطايا الله هذه .

بكلمات أخرى ، دعي الانسان الى اشتراك ديناميكي ومتقدم في
الله ويفهم اللاهوت الارثوذكسي هذه الدعوة كفرصة أعطيت للانسان
من أجل التأله . ويؤكد جميع الآباء اليونان بقوة على أن الانسان مخلوق
مُعطى الوصية ليصير «شريكاً في الطبيعة الالهية» (١ بط ١ / ٤) ، وبالنعمة ،
الها ، مشاركا الثالث الحي والقدوس في الابدية وعدم الموت .

في نهاية المطاف يرفض اللاهوت الارثوذكسي أن يرى الانسان
ككائن بحد ذاته ، كحقيقة موجودة منفصلة عن الله الثالث . عندما
تنكسر علاقة الانسان مع الله ، يُعلّق في الهواء ، وتنقص أصالته ، ويجد
نفسه غريباً عن بُعد الطبيعي .

يعطينا اللاهوتي الارثوذكسي المعروف ، يوستينوس بوبوفيتش في
مقالة له بعنوان « بين فيلسوفين » ، وصفاً معبراً لمأساة الانسان الذي ،
انفصل عن الله ، ويستمر في الزمان والفضاء space : « تحت النير
المضاعف ، نير الزمان والفضاء يجرّ الانسان العالم . الى أين ؟ الى أية
جروف شديدة الانحدار سوف يقوده؟ الى أية أعالي متجمدة وراء الزمان
والفضاء ؟ كل انسان ، كل الاعراق ، كل البشر ، كل الاجيال تكدح تحت
هذا النير المضاعف . يجرّونه ليلاً ونهاراً بجهد ، مدفوعين بقوة ما غير
منظورة . يجرّون ويتعثرون ، ويجرون أيضاً وأيضاً يتعثرون . انهم
يسقطون ويضيعون . من أجل ماذا؟ من ربطهم الى هذا الكدح تحت هذا
النير ولم يفكهم؟ ... ليس هناك من مأساة أكبر وحزن أعظم من كون
الجنس البشري تحت نير الزمان والفضاء الثقيل ، يجرّ الزمان وهو لا
يعرف لا طبيعته ولا معناه ولا غايته . انه يجرّ الفضاء أيضاً ، وبشكل
مشابه يجهل طبيعته ومعناه وغايته ... ليس امتيازاً أن توجد أو تعيش
في عالم كهذا ... هذا العالم ... ما هو بكل أوجاعه ومصائبه ومآسيه
والالم ؟ ما هو اذا لم يكن شيئاً ما يختصر وبدون أمل ؟ نعم شيء ما

يحتضر ، بدون أمل ؟ يتألم باستمرار من عضبة الموت، لكنه لا يبوت » •

بالحقيقة هذا هو الانسان وكذلك العالم عندما لا يُنظرون في الله
ومن خلال الله • مع الله هناك نظرة جديدة كلياً ، ورؤية الانسان للانسان
وكذلك للعالم تختلف كلياً • برؤية الانسان والعالم في الله ومن خلاله ،
الله المحبة المطلقة ، يملك المرء معنى جيد لنفس الآخر ، وبنفس الوقت
فهماً جديداً للكون • شعور الانسان لنفسه وللعالم يتجلى في حقيقة
جديدة ، حقيقة لا تنتهي لا في الزمان ولا في الابدية • هذه هي « البشارة
السارّة » ، الانجيل $\epsilon\nu\alpha\gamma\gamma\epsilon\lambda\iota\omicron\nu$ ، انجيل المسيحية • ففي كل بلايا
الحياة ، في كل مآسي البشر ، يمكن أن يسمع الصوت المعزي (صوت
ابن الله المتجسد) ، المحب للجنس البشري : « تعالوا اليّ يا جميع المتعبين
والثقلين ، وأنا أريحكم • احملوا نيري عليكم ، وكونوا لي تلاميذ ، لأنني
وديع ومتواضع القلب ، فتجدوا الراحة لنفوسكم • أجل ان نيري ليس
وحملني خفيف » (مت ١١ / ٢٨ - ٣٠) •

من المهم جداً التشديد هنا على أن الانسان في استجابته لنداء المسيح
هذا واتحاده مع المسيح ، يتحد مع كامل الثالوث • لم ينفصل الابن أبداً
عن الشخصين (الاقنومين) الآخرين • الآب في الابن والابن في الاب • •
والذي رأى الابن قد رأى الآب (يو ١٤ / ٩ - ١٠) • بطريقة مماثلة
يرى الابن في الروح المساوي له في الجوهر لانه حيث يوجد تماهي كلي
للجوهر فهناك يمكن ويجب أن لا يكون انقسام •

♦♦♦♦♦♦♦♦

توجد الكنيسة الحقيقية في الله أيّنا ، وفي الرب يسوع المسيح ،
وفي الروح القدس • بكلمات أخرى ، الكنيسة هي ملكية أبدية للثالوث

القدوس • ان شركة الاشخاص في الكنيسة هي على صورة شركة الاشخاص
الالهيين في الثالوث ، بهذا المعنى ، عضو الكنيسة ينتمي الى الثالوث ،
يخلق على صورة الثالوث ، ويعد خلقه بالمعمودية ، يصبح « مسكن الله
في (بواسطة) الروح » (أف ٢/٢٢) ، بالحقيقة « هيكل الله » هو حيث
« يسكن روح الله » (١ كو ٣/١٦) •

مما أشرنا اليه ، نعي لماذا صارع الآباء بشدة وحزم ليدافعوا عن حقيقة
الله الثالوث • هذه الحقيقة ليست عقيدة نظرية عن الثالوث ، لكنها متعلقة
بشدة بحياة الانسان والكنيسة ، هكذا في دفاعهم عن اللاهوت الثالوثي
الصحيح لم يدافعوا ببساطة عن أفكار مجردة بل عن خلاص شعب الله
ضد تفنيدات مختلفة كانت تأتي منه (الشعب) •

من المعروف جيداً ان عقائد الآباء اليونان ، ما كانت تفهم أفكاراً
بحد ذاتها ولذاتها ، بل بالأحرى حقائق ووقائع خلاصية واعلانية
revelatory هدفها جلب الجنس البشري الى الشركة مع الله •

برأيي ، كان الآباء مضطرين منذ الايام الاولى للمسيحية أن يواجهوا
مناهج فكرية أربعة مختلفة : ١ - التوحيد اليهودي ٢ - الوحدانية
الفلسفية اليونانية ٣ - التعددية الوثنية ٤ - الشائبة المانوية ،
لان مناهج الفكر هذه كانت المصادر الرئيسة للهراطقات ، وعدد معتبر من
البحوث كتب في دحضها • بالطبع هناك فروقات في الرأي ، بين الآباء
اليونان ، بحسب توضيح Constitute مصادر العقيدة الرئيسة • لم تتم
أية موافقة تامة أبداً بين الهرطقة والعقيدة المسيحية • ومن المفيد أن نذكر ،
كمثال ، ان القديس يوحنا الدمشقي ، في بحثه (في الهرطقات) ، يعتبر
أن البربرية والاسكيشية ، والهلنسية واليهودية ، الجذور الأربعة لكل
هرطقة • لذا فان الرسول بولس في (كول ٣/١١) حين يقول : ان في

المسيح يسوع « لا يوناني ولا يهودي • لا بربري ولا اسكيثي » بل
« خلقه جديدة » (٢ كو ٥/١٧ ، غلا ٦/١٥) ، يشير بطريقة نبوية الى
المصادر الرئيسة لكل الهرطقات •

– التوحيد اليهودي

عندما اعتبر الآباء اليهودية واحدة من جذور الهرطقات ، فإنهم
بالتأكيد لم يلوموا رسالة الله في العهد القديم • بل على العكس فهموا
العهد القديم كفعلٍ من الله للانسان • كان العهد القديم بالنسبة اليهم
العهد بين الله والانسان ، حركة الله تجاه الانسان • حدث ال (بيريت)
(العهد – الميثاق) بين الله والانسان • ومن الجهة الاخرى ، كان لكلمة
الانبياء بحسب فكر الآباء ، توجهه خريستولوجي • كانت فقط تهيئة من
أجل مجيء المسيح ، وأيضا اشارة لعمل المسيح • لهذا فان الانبياء « ماتوا
جميعاً على الايمان • ولم ينالوا المواعد ، بل رأوها وحيثوها عن بعد •
واعترفوا بأنهم « غرباء نزلوا في الارض » (عب ١١/١٣) • عندما يتكلم
الآباء عن اليهودية كواحدة من مصادر الهرطقات الثالوثية ، فإنهم يشيرون
الى الاقتراب (المعالجة) البشري المحض والقانوني من رسالة العهد القديم •
المسيح نفسه كان منتقداً شديداً لروح الفريسيين الذين « ينتشون البعوضة
ويبلعون الجمل » (مت ٢٣/١٣ – ٣٦) • هكذا فان الآباء عارضوا
التفسير الخاطيء لاعلان الانبياء ، وتحويل لاهوت العهد القديم الى
لاهوت ديني وشرائعي • ديديموس الاعمى ، في تعليقه على (اش ١/١٤)
« أعيادكم ورؤوس شهوركهم كرهتها نفسي » يقول أن الله يكره الدين •
هذا يعني انه (الله) ضد اللاهوت الديني ، الذي يتعاكس مع اللاهوت
المُعلن من الله • هكذا ، فان اليهودية هي تحويل كشف (وحي) الله في
العهد القديم الى نظام صارم وشكلي • كان هذا التحويل غريباً عن روح

الانبياء. وبهذا المعنى كان التوحيد اليهودي عقبة جدية أمام فهم اللاهوت
المسيحي .

— الوجدانية الفلسفية اليونانية —

نعني بالوجدانية اليونانية أساساً جهود الفلاسفة اليونان الأولين في
جمع كل شيء في مبدأ واحد مطلق . بكلمات أخرى، نعني الجهد اليوناني
لشرح كل الأشياء بمصطلحات حقيقة واقعية مفردة . ثالثاً الذي من
ميليتس (عالم رياضيات) علّم أن كل شيء قد تشكل من الماء . لكن ،
بالمعنى العام ، تفهم بالوجدانية اليونانية الفلسفة اليونانية التي هي بحث
بشري عن مبدأ أو علّة الكائنات الأولى . نعني إذاً ، مطلقية الحكمة
البشرية ، التي وصفها القديس بولس بـ « حكمة هذا العالم » ، التي
تعارض مع « حكمة الله » (١ كو ١ / ٢٠ - ٢١ ، ٢٤) . الفروقات
الاساسية بين هذين النوعين من الحكمة يصفها الرسول بولس نفسه
بوضوح في رسائله . فمن البدء حكمة الله ليست قائمة على اختراع بشري
بل نزلت « بالمسيح » ومصدرها هو الله (٣ كور ٤٨ - ٦) . هذه
الفكرة الركيزة تظهر مرات عديدة في كتاباته . لهذا يعرف عن نفسه
للغلاطيين فيقول : « أذكركم ، أيها الاخوة ، ان البشارة التي بشرتكم
بها ليست على سنة البشر ، لاني ما تلقيتها ولا أخذتها عن انسان ، بل
عن وحي من يسوع المسيح » (غلا ١ / ١١ - ١٢) . وبشكل مماثل ، في
رسالته الى أهل كورنثوس يميّز الرسول « تقليد الناس » عن ذلك « الذي
من المسيح » : « اياكم وأن يخبكم أحد بالفلسفة ، بذلك الغرور الباطل
القائم على سنة الناس وأركان العالم ، لا على المسيح » (كور ٢ / ٨) .
واضح ان بولس الرسول ، بهذه الكلمات الاخيرة ، لا ينوي أن

يدين الفلسفة ككل بل يذيع فقط اداة الفلسفة التي تؤسس على «الغرور الباطل» . بكلام آخر ، هو يدين اولئك الذين يعتبرون الفلسفة غاية بحد ذاتها أكثر مما هي واسطة الى الغاية . أي أنه يدين الفلسفة عندما يُنظر اليها كأمر مطلق absolute . وبالضبط فانها بهذا المعنى تصبح « غروراً باطلاً » .

من المعلوم ان الآباء اليونان تبعوا بولس الرسول في هذا الامر . مع أنهم ميّزوا مساهمة الفلسفة ودورها في الايمان بالله الذي هو واحد ، هم ردّوا بقوة على طبيعتها المكتفية بذاتها . الاكتفاء الذاتي يوجد فقط في حكمة الله . هذه الحكمة التي يسمّيها القديس بولس « معرفة الله الكاملة » $\epsilon\pi\iota\gamma\upsilon\omega\sigma\iota\varsigma$ (١ كور ١٠/١) أو « معرفة ابن الله الكاملة » أو « معرفة ربي يسوع المسيح » (في ٨/٣) . ان قبول حكمة الله هذه تعني أن ما قد علّم بواسطة الله والمسيح ، وصفه بولس الرسول كـ « ايمان الله » (روم ٣/٣) أو « الايمان في يسوع المسيح » (روم ٣/٢٢) .

هذا الايمان هو نقطة البدء في اللاهوت المسيحي . الفلسفة اليونانية ، تلهوت بطريقة مغايرة كلياً ، مبتدئة من الحكمة البشرية لوحدها . من أجل هذا عندما سمع الاثيناويون خطاب بولس الرسول الشهير في « آريوس باغوس » والذي يشير فيه الى الايمان بالقيامة ، « هزأ » بعضهم ، وآخرون قالوا « سنسمع كلامك في هذا الشأن مرة أخرى » وقلائل فقط الذين « انضموا اليه وآمنوا » (أع ١٧/٣٢-٣٤) .

منهج الفلسفة اليونانية هذا ، في اعتباره الحكمة البشرية فقط قاعدة « لمعرفة الله العلة الوحيدة المطلقة ، يشكّل خطراً عظيماً على اللاهوت المسيحي » وبهذا المعنى تصبح الفلسفة اليونانية واحدة من

— التعددية الوثنية

بالكلام عن جذر الهرطقات الثالث ، الميثولوجيا الوثنية التعددية ، لا أظن انه من الضروري القول انها تشكلت اللاهوت الادنى والاكثر بدائية • ان رد فعل الآباء على الاصنام وتعدّد الآلهة عند الاغريق وعموم العالم الوثني كان سلبياً جداً • كانت التعددية ، على اختلاف أنواعها ، هدفاً للهجوم المستمر في كل كتاباتهم • « لقد هاجموا عندما كانوا الناطقين باسم الأقلية المضطهدة في عالم وثني ، وهاجموها أيضا في كل مرة استطاعوا ، لقربهم من الحكام ، الرد على المضطهد ، وتابعوا مهاجمتها حتى بعد نجاحهم في تدميرها كدين حي ، لم يبقَ منه الا الذكرى » • التحليل الاخير ، تشكلت التعددية ، بحسب المفهوم المسيحي ، ديناً شيطانياً • يكتب بولس الرسول الى الكورنثيين ، ويشدّد بوضوح أن: « ما يذبح للاوثان انما يذبح للشياطين لا لله » ويحث المؤمنين ان « اهربوا من عبادة الاوثان » لانه لا يريد « أن تكونوا شركاء الشياطين » (١ كو ١٠ / ١٤ - ٢٠) •

— الثنائية المانوية

مرمى آخر كان هدفاً لمهاجمة الآباء الشرقيين وهو المذهب المانوي • من المعلوم ان المانوية كانت نظاماً ثنائياً توفيقياً متماسكا ، قائما على الصراع الابدي المفترض بين النور والظلام • وتعلّم المانوية ان النور

١ - لو كان العقل قادرا على استنباط اللاهوت المسيحي لما كانت حاجة الى الالهام الالهي (المعرب)

متماهياً مع الخير ، وكذلك الظلام مع الشر . الشر والخير أصلاً يعتبران كائنين متضادين ومنفصلين أحدهما عن الآخر . وبحسب المذهب المانوي فإن الانسان أيضاً داخل " في الصراع بين الخير والشر لان جسده مخلوق بواسطة روح الظلام ، بينما نفسه لها الله كمصدر (منشأ) . كان لهذا التعليم المانوي لاهوت تطبيقي . ان موقف الآباء اليونان من هذا المفهوم الثنائي لله والتاريخ ظلّ لدوداً لا يقبل المصالحة ، وغير متغير خلال كل الفترة الطويلة التي ساد فيها المذهب المانوي . هكذا اذاً ، تجعل المانوية حقيقة الله المطلق نسبيةً ، وموافقةً لحقيقة ثانية وموازية لله . ضد دأسة كهذه ، وثنائية متشائمة وغير انسانية ، ساق الآباء الفهم المسيحي لله والتاريخ بواسطة اصرارهم على الوجود المطلق لله ووحدته كرأس God head . بهذا المعنى ، الشيطان ليس موازياً لحقيقة الله ، بل هو غياب الله .

يبدو واضحاً مما سبق أن الأسباب الرئيسة للهرطقة هي خوض لموضوع مسألة الله انطلاقاً من وجهة نظر تجعل الانسان هو مركز البحث (١) . والجدير بالذكر ان لكل هرطقة تالوثية هذه الميزة : الانطلاق من أن الانسان هو المركز . وأظن أنه من المهم أن أعطي خطأ عاماً للميزة الرئيسة لكل الهرطقات المتعلقة بالثالوث .

يمكن القول ان الهرطقة نكران رسمي لايمان المسيحي ، أو حتى شك به . يشير المصطلح الذي استخدم في اليونانية القديمة الى معنى « اختيار choice » أو الى « الاشياء المختارة things chosen » . وقد أشار المصطلح بشكل خاص الى معتقدات مدرسة فلسفية خاصة .

١ - طولنا العبارة العربية لحسن فهم العبارة الانكليزية
anthropocentric approach

ويظهر هذا المصطلح في العهد الجديد بمعنى مختلف قليلاً • فهو يشير لأولئك الذين ينتمون الى شيعة دينية خاصة • بهذا المعنى ، الهرطقة هي شيعة (فرقة) • هكذا يتكلم الانجيلي لوقا في سفر الاعمال عن « فرقة الفرسيين » (٥ / ١٥ ، ٥ / ٢٦) ، وعن « فرقة الصدوقيين » (٥ / ١٧) ، أو حتى عن أولئك « المسيحيين الناصريين » (٥ / ٢٤) •

يُستخدَم المصطلح أيضا في العهد الجديد ليشير الى الاخطاء اللاهوتية • فبطرس الرسول في رسالته الثانية يقول : « كما كان في الشعب أنبياء كذبة ، فكذلك يكون فيكم علماء كذّابون يحدثون بدعاً مهلكة وينكرون الرب الذي اقتدأهم فيجلبون لأنفسهم هلاكاً سريعاً » •

مع ذلك ، فقد استخدم القديس أغناطيوس الانطاكي هذا المصطلح بشكل أكثر دقة ليعني به التعليم الكاذب والاطياء اللاهوتية •

بالعلاقة مع سؤال الهرطقة أود جذب الانتباه الى نقطتين :

١ - واحدة من الميزات الرئيسية لأية هرطقة ، ان نقطة الانطلاق في كل هرطقة هي انطلاق فردي • الهرطقة اقتراب فردي (مقارنة فردية) من حقيقة مكشوفة (موحاة) معينة وتفسير فردي لها • من المعروف ان الخطايا الشخصية والسقطات ، في الحياة والروحانية الارثوذكسيين ، لا تُعتبر أبداً خطراً على وحدة الكنيسة • على العكس ، ان هدف حضور الكنيسة في التاريخ هو تطويق الخطايا الشخصية • ان حضور الكنيسة هو الحضور الذي يأخذ سقوط الانسان ويحوّله الى حياة جديدة • يوصف كامل عمل الكنيسة وكل حياتها بفعالية في كلمات السيد المسيح : « تعالوا اليّ يا جميع ... » (مت ١١ / ٢٨) • يودع الانسان خطاياها وجهاداته في الكنيسة ويجد الراحة • في وضع كهذا (الخطايا الشخصية)

لا تكون الكنيسة ووحدها في خطر بل تكون في خطر حقاً عندما يعتمد أحد المؤمنين فهماً آخر للحقيقة مغايراً لما تعيشه الكنيسة . بكلمات أخرى لا يُطرَد الانسان من الكنيسة بسبب خطاياها الشخصية مهما عنفت ، بل بالحقيقة يضع نفسه خارج الكنيسة عندما يرفض حقيقتها مختاراً . يجد نفسه خارج الكنيسة عندما يستبدل حقيقة الكنيسة بمعايره ومفاهيمه الخاصة . تتعرض وحدة الكنيسة للخطر عندما يضع انسان ما وجهة نظره الفردية للحقيقة مكان الاحداث (الدينية) الموحى بها والممسوحة Charismatic (ذات مسحة يمنحها الروح القدس) . غطرسة الانسان هذه ، وايمانه بأنه يستطيع استبدال حقيقة الكنيسة بمفهومه الشخصي ، هي ما يدعى بالهرطقة . الهرطقة تفسير وعيش محض بشري (مركز فقط على الانسان) لحقيقة الكنيسة . انها طريقة تفسير وفهم الحقيقة التي تختلف عن التي قد اعتمدها الكنيسة . الصفة الاولى للهرطقة اذاً هي انطلاقها من التركيز على الانسان (أي جعل الانسان مركزاً للفكر والفهم) . It's anthropocentric

٢ - النقطة الثانية الواجب وضعها في الذهن ، هي أن كل هرطقة تتخذ جزءاً فقط من الحقيقة وتتعامل معه . الهرطقة هي اعلاء (تعويم) لجزء من الحقيقة ، هذا الاعلاء الجزئي يُفضي الى تخفيض الحقيقة بكاملها . انها اعطاء المطلقة لوجه معين من الحقيقة . عادةً تظهر أية هرطقة وكأنها مخالفة نظرية تختص بتحديد العقيدة . بينما هي بالحقيقة ، عزل جزء ملموس من العقيدة المسيحية . بهذا المعنى ، الهرطقة طريقة حياة مختلفة عن تلك التي تقدمها الكنيسة . تثبت الهرطقة عدم قدرة الانسان على تأسيس وجوده الخاص على وجود الكنيسة الجامع catholic .

من الملفت ان لكل هرطقة كل ميّزات التقوى الفردية ، لانها موقف مخالف للحياة والى خلاص اللذين تتبناهما الكنيسة .

قلنا سابقاً ان العقيدة ليست نظرية ولا تأملاً مجرداً ، بل هي حقائق
متصلة وثيقاً بحياة الانسان • أية مخالفة في الايمان تنتج موقفاً مختلفاً في
الحياة • بكلام آخر ، تقود الهرطقة الانسان الى حياة اخرى مختلفة
عن حياة الكنيسة الواحدة والجامعة ، تلك الحياة الفريدة والافخارستية
والمواهبية •

من أجل فهم أفضل لهذه النقطة ، أي ان كل هرطقة تأخذ جزءاً فقط
من الحقيقة ، أذكر المثال الموجز التالي :

هرطقة آريوس الكبيرة، مثلاً • لان آريوس بنى لاهوته على معايير
بشرية ، فانه واجه صعوبات جدية في فهم ان الله واحد وثلاثة أشخاص في
الوقت ذاته • لهذا ، في عدم استطاعته فهم كيف ان ثلاثة أشخاص (أقانيم)
يمكن أن يكونوا ذا جوهر واحد أو طبيعة واحدة ، ميّز جواهر ثلاثة
متساوية • فصار الله ، بحسب آريوس ، هو الاب ، والابن له جوهر
مختلف عن جوهر الاب وهو مخلوق من الاب ، والروح القدس مخلوق
من المخلوق (الابن) • أي أن آريوس عزل حقيقة الله الواحد ، ونبذ
حقيقة كونه واحد في ثلاثة أشخاص أو أقانيم •

في الختام ، علينا ابراز ان هذه الهرطقات ليست مخالفات بسيطة غير
ذات أهمية ، بل هي مخربة وتهدم ، في المرمى الاخير ، كامل عقيدة
الخلاص ، وتفرض سر التدبير الالهي بكامله •